موضوعات الشعر الديني في شعر الأطفال عند جمال الطاهري

د. يوسف عمر
جامعة العربي التبسي – تبسة – الجزائر

ملخص:

لقد شكلت موضوعات الشّعر الديّني في شعر الأطفال بمختلف مضامينها عند الشاعر جمال الطّاهري(1947-1999) حيزا واضحا في ديوانيْه: الزّهور بأجزائه الخمسة، ونفح الياسمين، وركّزت على الجوانب المرتبطة بالخالــق عزّ وجلّ وبالرّسول –صلى الله عليه وسلم- ومدحه، وبذكر القرآن كمنهج للحياة، والأدعيــة والابتهالات التي تضمّنت معظم ما يجسّد علاقــة الطّفل بربّه، وهو نهج إسلامي لابدّ من تربية الأطفال عليه.

الكلمات المفتاحية: الأطفال، الديني، مضامين، الدعاء، الابتهال

Abstract:

The religious themes in poetry have taken an important place in children's poetry with various contents in the poet djamel tahiri's two collections of poems (1947-1999):'Zohor' with its five volumes and 'Nafh Yasamine'. They focused on the aspects related to God and his prophet peace be upon him, as they mentioned Quran as a method of life , prayers , religious songs, which included most of what reflects the relationship of the child with their lord,this is an islamic way to bring up children.

Keywords: Children, religion, contents, prayer, supplication.

تمهيد:

لقد أكّد علماء النّفس ورجال التّربية، على أهمّية مراحل الطّفولة، ذلك أنّ حياة الطّفولة لها أثر خطير في توجيه حياة الإنسان بكلّ مراحلها ففيها تتكوّن شخصية الإنسان وتتبلور طباعه وتتشكّل ميوله وعاداته واتّجاهاته. فالطّفل كلّما تلقّى خبرات جديدة ومفيدة كلّما تقدّم في نموّه المعرفي والعقلي والحركي وتطوّر توافقه الاجتماعي، بتغذية من أدب الأطفال.

والشّعر أحد فنون هذا الأدب؛ الذي يعمل على تنمية الطّفل، وصوغ وجدانه في القالب المنشود، وتعليمه وتثقيفه، وإشعاره بأصول التّصور الإسلامي لعلاقة المسلم بالمسلم "والعمل الجماعي المنتظم، والمنبنى على التّصورات الصّحيحة، والتّخطيط الواعي المستند إلى القرآن والسّنّة، وسلف الأمّة"[1] الذي يكون للطّفل دور فيه بالحفظ والإنشاد؛ لما فيه من عظات صادقة، تمنح الطّفل دفقات من العزيمة والإصرار للسّير نحو المستقبل؛ لتذوّق الرّحمة وإدراك معنى العدالة؛ لذلك وجب على شاعر الأطفال أن يكون حريصا في انتخاب موضوعات شعره الموجّه لهم، وأن يجعل المضامين سبيلا للوصول إلى عقول الأطفال بما تحتويه من قيم دينية وتربوية واجتماعية.

[1] مروان كوجك: أناشيد إسلامية، ط3، دار الأرقم، الكويت، 1987، ص:08.

والأستاذ الشّاعر **جمال الطّاهري*** آمن بما ينتجه للأطفال، وبأهمّية الشّعر ذي المضامين التي تحثّ على التّمسك بالدّين والأخلاق، والأدعية، فكان لموضوع الدّين قصب السّبق في كيفياته لا في كمّه، بلمسات مشحونة بالقيم والرّسائل الهادفة. فشعره للأطفال لم يخلُ من الموضوعات الدّينية، حيث شغلت مضامينه حيّزا كبيرا في ديوانيْه: الزهور بأجزائه الخمسة، ونفح الياسمين، واللذان يضمان في مجموعهما ما يقارب مائة وثلاثين قصيدة وأنشودة طفلية في مختلف الموضوعات، وكان نصيب الدّيني منها حوالي خمسة عشر قصيدة وأنشودة، وقد أصرّ صاحبها على أنّها وئدت في مهدها، وحجبت عن الدراسة والنشر– في ضوء الدراسات المقدمة حول أدب الطفل في الجزائر– فهل فعلا هو شاعر أطفال؟ وهل عالج في موضوعاته الدينية ما يوائم مراحل الطّفولة؟ وهل حقّق في ذلك الشروط الفنّية في

*) هو عبد الكريم عُلجي المزداد بتاريخ:14 سبتمبر 1947 بحي عين الذهب بولاية المدية. واختار الاسم الأدبي "جمال الطّاهري" لظروف اجتماعية خاصة.

– أستاذ التّعليم المتوسّط للّغة العربية منذ سنة 1971 بإكمالية رقية مصطفى للبنات بالمدية، ثم انتقل سنة 1978 إلى إكمالية الفضيل اسكندر للبنات بنفس الولاية، حتّى وافته المنية، بعد معاناة طويلة مع مرض العجز الكلوي، حيث التحق بالرّفيق الأعلى – رحمه الله – في يوم الاثنين 08 نوفمبر1999، عن عمر ناهز 52 سنة.

– مؤسس أول رابطة للكُتّاب الشّباب العرب باسم (فينيس) سنة 1971.

– عضو اتّحاد الكتّاب الجزائريين منذ سنة 1972.

– عضو اللّجنة المديرة لاتّحاد الكتّاب الجزائريين منذ سنة 1996.

– صدر اسمه ضمن معجم البابطين للشّعراء العرب المعاصرين الطبعة الأولى 1995.

– له ستة دواوين شعرية للأطفال، منها: الزهور، ونفح الياسمين.

شعر الأطفال؟ تلكم هي إشكالية هذه الدراسة، والتي سنحاول الإجابة عنها بالاعتماد على المنهج التحليلي أَجْلَ الوصول إلى وصف هادف ومنظم.

1- أهمية الشعر الديني للأطفال:

قد لا نجانب الحقيقة إن قلنا أنّ موضوعات الشّعر الدّيني هي التي تتصدّر الكتابات الموجّهة للأطفال في الجزائر "وفاقا لما يقوم عليه المجتمع الجزائري من حسّ قوي، وروح جيّاشة تجاه كلّ ما له صلة بهذا الدّين الحنيف فلقد أدّت هذه الرّوح دورها التّربوي والتّعليمي في كلّ الأعصر الحضارية التي قطعها هذا المجتمع ويقطعها"[1] فالموضوعات الدّينية بمضامينها المتنوعة قد تطرّق لها الشّعراء في أشعارهم بوصفها أحد المظاهر الأساسية في المجتمع يستمدّون منها كل العزم والقوة والخلود؛ ليبقى صوت الإسلام عاليا ورايته خفّاقة انطلاقا من المخزون المعرفي المعتمد على الموروث الدّيني في التّوظيف على أساس فاعلية التّواصل مع المتلقّي الصغير، وإحاطته بثقافته ومعرفته الخاصّة بشكل واقعي وعصري يجعل الأطفال يتذوّقون ما يُضيفه المبدع إلى الموضوعات الدّينية.

وتتجلّى أهمّية الشّعر الدّيني بمختلف موضوعاته في كونه "فنّا أدبيا يستمدّ جمالياته من الإعجاز البياني وممّا أوتي من جوامع الكلم، ويستلهم قِيَمه من معاني الذّكر الحكيم والهدي الشّريف، ومن أدب السّلف الصّالح الواعي لمَهمَّته في الحياة. ولعلّ هذه الرّؤيا هي الّتي جعلت العديد من شعرائنا في العصر الحديث

[1] عميش عبدالقادر: قصّة الطّفل في الجزائر، ط2، دار الأمل، تيزي وزو، 2012، ص:43.

يبدعون في القصائد الدّينية"[1] ذلك أنّ العلاقة بين الدّين والأدب لم تنقطع على مرّ العصور، ورغم ما قد يُصيب أحدهما من تقدّم أو تأخّر في زمن ما، فإنّ هذه العلاقة تبقى قضية أصيلة بحكم عنصري الممارسة والأداء لكل منهما "على نحولا يعود معه أيّ عنصر في وَاحِدهما غريبا عن الثّاني، وبالفعل تعبّر الأصالة، من جهة أولى عمّا هو عفوي إلى أقصى حدود العفوية عند الفنّان، ولا تعبِّر من الجهة الثانية إلّا عمّا هومن صميم طبيعة الموضوع بحيث تظهر أصالة الفنّان وكأنّها أصالة الموضوع نفسه"[2] وثنائية الممارسة والأداء جعلت الأدب عامّة، والشعر خاصّة ينموفي رحاب القرآن الكريم، ويمتاح من فيضه الأمر الذي جعل الشّاعر المسلم الذي يكتب للأطفال يهتمّ "بتأصيل القيم الرّوحية في نفوس الأطفال، وغرس الفضائل الحميدة والأخلاق النّبيلة، وتهذيب الطّباع، وتعديل السّلوك، وتعميق معنى الإيمان، وتأكيد مبدأ الوحدانية وتقريب فكرة الألوهية إلى عقول الأطفال بصورة مبسّطة"[3].

---

[1] عبدالرحمن بغداد: إسلاميات أحمد شوقي (دراسة نصّية تناصية) (رسالة دكتوراه مخطوطة) جامعة تلمسان، 2007 ص: أ.

[2] هيغل: المدخل إلى علم الجمال فكرة الجمال، ط2، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطّليعة، بيروت، 1988 ص:460.

[3] العيد جلّولي: النّص الشعري الموجّه للأطفال في الجزائر، ط1، موفيم للنشر، الجزائر، 2008، ص:185.

2- مضامين التوحيد والابتهالات:

استهلّ الشّاعر **جمال الطاهري** موضوعات الدّين بأنشودة (دعاء) متوجّها إلى الله سبحانه وتعالى بالدّعاء والتضرّع على لسان الطّفل هادفا من ذلك تعميق الصّلة الرّوحية بين الطفل وربه، حيث يقول على لسانه[1]:

أَيَا نُـورَ قَلْـبِـي وبَهْجَـةَ لُبِّـــي
ومِصباحَ دَرْبِي ومَهْبِطَ حُبِّـي
إلهِي العظيـمْ ورَبِّي الكريــمْ
أَخَيْـرَ دليــلْ وهَادِي السّبيلْ
شِفاءَ العَليـلْ وعَوْنِي الجَلِيــلْ

فحين تشتدّ أمور الدّنيا على الإنسان وتواجهه الصعوبات، أو الصّدمات، والأحزان فإنّ راحة البال في الدعاء لله عزّ وجلّ مصداقا لقوله تعالى:﴿**وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ والآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ**﴾[2] والقرآن الكريم مليء بمثل هذه الأساليب الشّائقة التي تدعو الإنسان للابتهال والدّعاء فالشّاعر يحمد اللّه بندائه إيّاه، ويذكر بعض صفاته العليا ويدعو بأسمائه الحسنى، استجابة لقول اللّه تعالى:﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**

[1] جمال الطّاهري: الزّهور، ط1،ج2، قصائد للفتيان والفتيات، دار الحضارة، المدية، 1991، ص:01.
[2] سورة الأعراف: الآية:205.

وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1] معترفا بذلّه والفقر إليه؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى يحبّ من عبده أن يعترف بعظيم نعمه وجليل فضله؛ فهو الخالق والهادي، والمطعِم والسّاقي، وهو الذي يشفي ويميت ويحيي، ثمّ يضيف الشّاعر في ذات الأنشودة متوسّلا للّه سبحانه وتعالى أن يقبل صلاته ويحسّن خلْقَه وخُلُقه ويسعد حياته وأن يبارك ثمرة اجتهاده، وحصاد عمله المثمر الذي يعود بالنّفع على البلاد والعباد، وهي قيم دينية وحضارية لها علاقة بالعقيدة الإسلامية أراد الشّاعر أن يرسّخها في الأطفال، ليستقيموا في أخلاقهم كسلوكيات لبناء الأمم وأن يتوجّهوا إلى الله دون سواه بالدّعاء والتّضرع والخشية ولعلّ ذلك من أسمى أهداف أدب الأطفال الإسلامي إذ يقول[2]:

تقبّلْ صلاتـــــي بمـــــــاضٍ وآتِ

وجمّلْ صِفَاتـــــي واسْعِدْ حَيَاتـــي

إلهِـي العَظِيـــــم ورَبِـــّي الكَـرِيـــمْ

اِبْنِ لِي اجتهادِي وبَارِكْ حَصَـادِي

أَفِدْ بِـــي بلادي وكـــلَّ العبـــــادِ

ويجمع المعاني السّابقة في مضمون أنشودة أخرى عنونها بـ (الدّعاء) وكأنّه يفسّر قصيدته الأولى التي عنونها بـ (دعاء) دون تعريف–أي نكرة– والاسم النّكرة

[1] سورة الأعراف: الآية:180.

[2] جمال الطّاهري: الزّهور، ط1، ج1، قصائد للفتيان والفتيات، دار الحضارة، المدية 1991، ص:01.

يفتح دلالات تأويلية مُتّسعة تحيل على الشيوع، أمّا (الدّعاء) باعتباره معرفة فهو محرّك حيوي وحاضنة لرؤية الشّاعر في تشكيل قصيدته كتجربة إبداعية، وكمضمون قيمي يلجأ إليه الإنسان حين تتيه منه الدّروب وتضيق به السّبل، وعنه ينفضّ الأصحاب والأصدقاء ويبقى يعانق وحدته والحزن ينسج خيوطه حول قلبه، ويخنق بقايا الفرح، وحين ذاك لا ملجأ من الله إلّا إليه، وله المفرّ، لأنّه القائل في كتابه العزيز: ﴿**فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾[1] يقول فيها[2]:

إن تاه الدّربُ، وضاق طـريقْ

وانفضَّ الصّحبُ، وولّى صـديقْ

وبقيتً المفـردَ، دون رفـيـقْ

فالْجـأْ للّـهِ، إلـه الكـــونْ

وإذا بالعَتَمَة فيض شـــروقْ

إن ضاق الدّهر، وخانك حَـظْ

والدّنيا ضاقتْ طولاً. عـرضْ

وكأنّك تحمـــلُ وزر الأرضْ

فالجـأْ للّـه إلَـه العـــونْ

[1] سورة الذّاريات: الآية:50.

[2] جمال الطّاهري: الزّهور، ط1، ج4، قصائد للفتيان والفتيات، دار الحضارة، المدية، 1992، ص:03.

إنّه توجّع القلب حين الشّعور بفراق الحبيب، غير أنّه لا عزيز أعزّ من النّفس ولا طبيب أقرب من الله ورسوله، فقد يهرب الإنسان من المخلوق إلى غيره، فيحتضنه أو يردّه، لكن اللّه أرحم من الوالدة بولدها وهو القائل: ﴿**حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾[1] فالشّاعر يبدو متأثّرا بالقرآن الكريم المصدر الأول للاستيعاب فاقتبس منه لأداء وظيفة الاقناع، واستشهد به بطريقة غير مباشرة لإيصال المعنى بسهولة للأطفال.

وقد سعى **جمال الطّاهري** في أنشودته (هو اللّه وحده) إلى تقمّص شخصية الطّفل المتأمّل في صنع الله، فمنذ أن يفتح عينيه وهي واحدة من أهمّ نعم الله عليه، وهو يرى في بيئته الزّهور البديعة، والنّحل، والفراشات، وهي تحوم حول هذه الزّهور، وأسراب الحمام وتحوّلات الطّبيعة، ودورة الشّمس وما ينتج عنها من فصول تتباين في مظهرها بين جمال الرّبيع، ووداعة الصّيف، وكآبة الخريف وصقيع الشّتاء، حيث يقول[2]:

تأمّـــلْ صنيــع الإلـــه ورتّـــلْ هو اللّه وحده

فسبحان من سَكَبَ الحُسـنَ وردهْ وكوّنَ في باطنِ النّحل شَهْدهْ

وألْهـــمَ ســـربَ الحَمَائِـمِ رُشْـدهْ وعَلَّـم وَحْـشَ الفَـلاةِ المـوَدَّهْ

---

[1] سورة التوبة: الآية:118.

[2] جمال الطاهري: الزهور، ج1، ص:14.

تأمّـــلْ صنيـــع الإلـــه ورتّــلْ هو اللّه وحده

أراهُ بفضـــــل الرّبيـــع البديـــعْ وفي فصلِ صيفٍ لطيفٍ وديـعْ

وفصـــلِ خريـفٍ كئيبٍ مُريـــــعْ وثلــجِ شتاءٍ ومَرْأَى صقيـــعْ

ولفنّ الابتهال نصيب عند **جمال الطّاهري**، ينطلق فيه من دوافع الانكسار، وكأنّه يعيش أزمة نفسية متأزّمة، وأحسب الرّجل يُدلف إلى الابتهالات كلّما أحسّ من نفسه بتقصير أو مروق، معترفا بما قد يكون اقترفه في الماضي ممّا لا يذكره تصريحا "ليغلق على نفسه الباب، وينظر إلى الحياة من زاوية خاصّة، هي زاوية الذّات المحرومة والنّفس المكبوتة باحثا عن نفسه"[1] في تجربة شعرية صادقة، ليضع الأطفال في جو الخشوع، ويربطهم ربطا وثيقا بحبّ الله والتقرب إليه بالصّفاء الرّوحي والسّمو بالذّات في أجواء إيمانية بحثا عن الطّمأنينة والرّاحة يقول في مقتطف من قصيدة (ابتهالات)[2]:

نـوّرْ وجدانـــي يا ربّـــي بِبَيَـانِ الآيـــات العــذْبِ

وأوْضِئْ ما أظْلَمَ من درْبِي وأقمْ من ذكِـركَ لِي صوْبِـي

سبحانـــك ربـــي سبحانـــك

إلهـي صبـراً في عُسْـــرِي والشُّكْرُ الخالصُ في يُسْـري

---

[1] عبدالله الركيبي: دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث (د، ط) الدار القومية، مصر، 1961، ص:12.

[2] جمال الطّاهري: الزهور، ج1، ص:06.

امْنحْنِي رُشْدًا فـي أمْـــري وصوابًا يقـدحُ في فِكْـــرِي

ويتابع الشّاعر رحلته في موضع آخر إلى توجيه الأطفال إلى مبادئ الدّين الإسلامي الحنيف، وتعميق الإيمان في نفوسهم، وهم يطلبون من اللّه عزّ وجلّ أن يبارك في أعمالهم وأقوالهم، وأن يتّصِفوا بالعطف والرّفق، وفعل الخير يقول في قصيدة (يا رب بارك لي)[1]:

يَا ربِّي بارك لـــي في طيِّب الأعمـالْ

يا وَافِـرَ البَـــذْلِ زيِّنْ لي الأقـــوالْ

بارك لي العُمْـــرا افْعلْ بي الخيْـــــرَا

كي أُكْثرَ البـــرَّا أدعـوك ياربِّـــــي

ثبّتْ لي الإيمـــانْ جمِّلْ لي الإحسـانْ

كثِّرْ بي العمـرانْ أدعـوك ياربِّـــــي

وفي لحظة انعزال الإنسان وتفرّده عن الإخوان، قد يعتريه اليأس والقنوط دون أنيس أو معين، فيرى الطّريق طويلةً وشاقّة، ثمّ ما يلبث أن يصحوعلى ثقة وأمل باللّه سبحانه وتعالى، يناجي **جمال الطّاهري** ربّه شاكيا له مواجعه وأحزانه في رائعته (يا رب) وإن كانت فوق مستوى الأطفال الإدراكي، واللّغوي لتنامي

[1] جمال الطّاهري: الزّهور، ط1، ج5، قصائد للأطفال، مؤسسة أشغال الطباعة، المدية، 1993، ص:01.

الرّمزية الصّعبة وتغليب التخيّل على المعنى الحقيقي فقد أبدع في إجلاء الصّورة، وبناها على أرضية الحركة بين الأسلوب والموقف، في مناجاة رحيمة تفيض سماحة على لسان الإنسانية في طفولتها يقول[1]:

كمْ بـتُّ أُكابِـدُ وأُعانـِي أجْتَـرُّ مجامـعَ أحـزانِي

والسُّـهْـدُ يـمزّقُ أَفْنَانـِي والحسرة أَمْسَتْ سُلْطَانِي

فيناجي قلبي: يا ربّـي

فـإذا بالحـسـرة أوهـام وإذا بالحسـرة أحـلام

كم سرتُ أعاني من عُسْرِي والدّنيا ضَاقتْ من أمْرِي

ومتاعبُ عمْـرِي كالجسـرِ خرِبًا يتأجَّـجَ كالجمـرِ

فيناجي قلبي: يا ربّـي

فالعُسْـرُ يُعـوَّضُ باليُسْـرِ والضِّيقُ يُتَابَعُ بالخيْـر

ومثل هذا المقطوعات التي تقترب من حسّ الأطفال وتداعب الذّائقة الغنائية لديهم تجعلهم يتغنّون بها، ويشعرون بالسّرور حيالها، لأنّها "تنمّي خيالهم وتوقظ عواطفهم ومشاعرهم، وتغرس فيهم القيم الدّينية والمبادئ الخُلقية"[2] لأنّ فيها

---

[1] جمال الطّاهري: الزّهور، ج4، ص:04.

[2] حسن شحاتة: أدب الطّفل العربي دراسات وبحوث، ط2، الدّار المصرية اللّبنانية، القاهرة، 1994، ص:212

المعاني القيِّمة، حيث اصطفى فيها الشّاعر الألفاظ ذات الأثر العميق في نفس المتلقّي الصّغير، بعيدا عن مظاهر التّكلّف.

وفي زحام الحياة لا ينسى شاعرنا تسبيح اللّه، في حقيقةٍ يهزّ بها قلوب الصّغار موضّحا أنّ الكون كلّه بملائكته وإنسه وجنّه، وشجره وثمره، بنجومه وغيومه، بأطياره في أوكارها تلهج بذكر الله وتسبيحه وتحميده وتمجيده بغير تخلّف ولا توقّف ولا انقطاع، يقول في أنشودة (سبحان اللّه)[1]:

أُنظرْ لذي الشّجـرهْ تختـــالُ مـزدهـــــرهْ

تحكـي بها الثّمـــرهْ عن حســن خلق اللّهْ

أُنظرْ لذي النّجمـــهْ تختـــالُ بالبسمـــــهْ

تحكي لذي الغيمـــهْ عن حســن خلق اللّهْ

أُنظرْ لِذِي الغيمـاتْ حامت بها النّسمـاتْ

تحكي بها الخيـــراتْ عن حســن خلق اللّهْ

أُنظر لِذِي الأطيـارْ تسبيـحها أشـعـــارْ

تشدو لدى الأوكـارْ عن حســن خلق اللّهْ

وفي هذه المقطوعة يرسّخ الشّاعر العقيدة الصّحيحة في نفوس الأطفال ويبيّن لهم أن اللّه خلَق الخلْقَ فأحْسَنهُ وأتْقَنه متعالقًا مع قوله تعالى: ﴿**الَّذِي**

[1] جمال الطّاهري: الزّهور، ج5، ص:03.

أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾[1] وتضمينا غير مباشر لقوله تعالى:﴿**وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾**[2].

3- مضامين مدح الرسّول – صلى الله عليه وسلم-:

وبعد هذه النّفحات الإيمانية التّي بيّن فيها الشّاعر عظمة الخالق بذكر آلائه وتمجيد ذاته والدّعوة إليه بالتّضرّع والدّعاء، يتوجّه بنا إلى حضرة الرّسول محمّد – صلى الله عليه وسلم– عَلَم الهدى ونِبْراسها، نور الوجود، والوافي بالعهود، شفيع الخلقِ يوم التّنادي؛ مُعدِّدًا صفاتِه ومبيّنًا فضله على البشرية جمعاء، فقد وصفه المولى عزّ وجلّ بقوله في كتابه العزيز: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾**[3] فَصِفَتَا الرّأفة والرّحمة من أنبل الصّفات التي اتّصف بها سيّدنا محمد –صلى الله عليه وسلم–ودعا إلى الاتّصاف بها، وقد استعمل الشّاعر أسماء التّفضيل؛ لأنّ الأطفال تعوّدوا على استعمال هذه الألفاظ في مناشطهم الدّراسية للمقارنة والقياس بأسلوب شعري مترنّم في أنشودة (محمد)[4]:

هو البــزوغ الأسعـدُ هو الرّجــاء الأبعــدُ

---

[1] سورة السّجدة: الآية:07.

[2] سورة النّمل: الآية:88.

[3] سورة التوّبة: الآية:128.

[4] جمال الطّاهري: الزّهور، ج2، ص:05.

هو الدّليـل الأوحـدُ هدى الأنام الأرشـدُ

شمس الورى المُكـرَّم بها يَقْتــاتُ المسلـمُ

هو الرّســول المُلْهَـمُ والقائــد المعلِّـــمُ

فهذه الأسطر القصيرة تجيب الأطفال عن أسئلتهم الطويلة، التي من خلالها يستلهمون "هدي النبي–صلى الله عليه وسلم–ويدفعنا إلى تلمّس هذا الهدي إيماننا أنّه –صلى الله عليه وسلم– الأنموذج الذي وضعه الله نصب أعيننا، وطالبنا باتّباعه والمشي على نهجه وغرزه"[1] فهو الإسوة الحسنة التي تضيئ صفحات حياتنا توجيها وقولا وفعلا، وفي هذا المعنى

يقول جمال الطّاهري في أنشودة (أدّبني ربّي)[2]:

علّمنِي تعليــمْ بخلقـهِ الكـريـمْ

أعطاني المثــلْ بنهجـه القويـمْ

والنَّهْج لم يـزلْ المرجعَ السّليـمْ

علّمنِي الصّدقَ والعدلَ والحقَّا

والصّالحَ الأَبْقَا أطلبــه سبْـقَا

[1] منقذ بن محمود السّقار: الدّين المعاملة (د، ط) الإدارة العامّة للثقافة والنّشر (د، ب) 2009، ص:04.

[2] جمال الطّاهري: الزّهور، ج2، ص:05.

ويبدوأنه أراد تفسير قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَنْ كَانَ يَرْجُو اللّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾[1] وقوله تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[2] بطريقة مبسّطة يفهمها الأطفال بأسلوب شعري رقيق؛ ثمّ يمعن الشّاعر في تعلّقه بالحبيب محمّد –صلى الله عليه وسلم–ردّا على الآثمين وعلى أولئك الذين هانوا على الله، وهانوا على الأرض من أجل أن لا تعلو راية الحقّ، ولا يتأتّى ذلك إلّا بالتمسّك بدين الله عقيدة وشريعة، عبادةً وسلوكًا وأخلاقًا، ثمّ التّمسّك بسنة النّبي –صلى الله عليه وسلم– لأنّ من أهمَّ أسباب رسالة الإسلام الأخلاق التي لاقتْ قلوبًا نقيَّة صادقة تعلم أنَّها أمام قدْوة اختارها الله عزَّ وجلَّ ليقود العالم إلى الحياة الأفضل والآخِرة الأنعم، يقول في مقتطف من أنشودة(النّهج المحمّدي)[3]:

بمحمّـــد سأبْتَـــدِي وبالرّســـول أقتـــدي

وسوف أبقى المهتدِي بنهجـــه المُحمّـــدي

محمـد زَيْـــن الـــورى بحبلـــه شـدَّ العُـــرَى

وهـو ضِياء منْ يَـرى بنهجـــه المُحمّـــدي

محمّـدُ نـــورُ البشـــرْ من نوره الجهلُ انْدَثـرْ

---

[1] سورة الأحزاب: الآية:21.

[2] سورة القلم: الآية:04.

[3] جمال الطّاهري: الزّهور، ط1،ج3، قصائد للفتيان والفتيات، دار الحضارة، المدية، 1992، ص:01.

عَلَّمنَا مـدى العُمُـرْ بنهجـــه المُحمّـــدي

محمّـدُ زَيْـنَ الخلـــقْ وشرعــه عدلٌ وحـــقْ

إشـراقـه عـمّ الأفـــقْ بنهجـــه المُحمّـــدي

فشخصية نبيِّنا محمَّد–صلى الله عليه وسلم– وجد فيها الشّاعر القدوة والأخلاق، وفي تفاصيل حياته مادَّة خصبة، وكتابا ينهل منْه، ويتحدَّث عنه، ليبيّن للأطفال أنَّه الأفضل والأطْهر الذي علّم البشرية كيف تكون الأخلاق. وللشّاعر في هذه القصيدة مشاهدات وأذواق تعبّر عن مكنون حبّه، ولواعج أشواقه للنّبي –صلى الله عليه وسلم– فيختمها قائلا [1]:

هو قَائِدي وهو الإمـــــامْ والبدر إنْ عـمَّ الظّـلامْ

وسبيلـه نشـــر السّـــــلامْ بنهجـــه المُحمّـــدي

من نـوره عـمّ الصّبـــــاحْ والبـدر في اللّيلاء لاحْ

ذاب الدُّجَى والضّنـكُ راحْ بنهجـــه المُحمّـــدي

لقد كان ولا يزال الرّسول –صلى الله عليه وسلم– الأنموذج المثالي الذي تهفو إليه كلّ نفس مؤمنة ويتعطر بسيرته كلّ لسان ذاكر، وكثيرا ما مدحه الشّعراء ولهجوا في شعرهم بمناقبه ومآثره، تشفّعا وتبرّكا، فقد "وجد شعراؤنا تراثا ضخما من المدائح النّبوية بدأت من حسّان بن ثابت شاعر الرسول –صلى الله عليه وسلم–

[1] جمال الطّاهري: الزّهور، ج3، ص:01.

ومَن عاصره من الشّعراء الإسلاميين، ثمّ من تَلاهم من الشّعراء على مرّ الأيام والدّهور وقد تلوّنت تلك المدائح بأذواق العصور الإسلامية المتوالية، فحملت قصيدة المدح إلى جانب المعاني الدّينية، أشواق العصر وتطلّعات أهله إلى المستقبل ورجاء المؤمنين في حياة أفضل"[1] وشاعرنا **الطّاهري** تجاوب مع هذه المعاني السّامية التي يجيش بها قلبه، في سياقات مناسبة للأطفال مرتبطة بمناسبة دينية هي عيد المولد النّبوي الشّريف التي ينتظرها الأطفال بشغف كلّ عام، ولا أحسن من أن يرويهم من منبع شعره على ألسنتهم (في ذكرى المولد)[2]:

نحــن أوقدنا الشّموعْ من سنَا الهادي الكريـمْ

نـــوره عــمّ الرّبــوعْ ينشرُ البِشــر العظيـــمْ

بَدْرُهُ عَـذْبُ السّطُوعْ يُذهِبُ الجهلَ الأليـــمْ

وهوفي طيّ الضّلــوعْ مصـدرُ الخيرِ العميـــمْ

وبعيدا عن النّقاش الفقهي، تناول الشّاعر المناسبة من مظهر حبّ الرّسول –صلى الله عليه وسلم– وإجلال شخصيته في نفوس الأطفال في طابع ديني بحت لشكر الله على أنّه بعث لنا هذا النبي الكريم معدّدا شمائله، وخصائصه، وصفاته وعظيم فضله على البشرية[3]:

---

[1] سعاد عبد الوهاب عبدالكريم: إسلاميات أحمد شوقي (دراسة نقدية) (د، ط) مطابع أهرام الجيزة الكبرى، مصر (د، ت) ص:239.

[2] جمال الطّاهري: الزّهور، ج2، ص:14

[3] المصدر نفسه، ص:ن.

نـور عـــــمّ الرّبـــوعْ فهـوفي الدّنيا مُخلّـدْ

بدرهُ عَـذبُ السّطُـوعْ ذِكـره دوما مُمجّـــدْ

وهوفي طيّ الضّلـوعْ ألف تذكــار مُؤبَّـــدْ

وينسجم **الطّاهري** مع الأطفال في مرحلة الواقعية والخيال المحدود في خيالها الإيهامي بجعل(شموع المولد) ناطقة بِتَوحّده معها ومحاورتها مستخدما تقنية التّشخيص والأنسنة وهي تقنية "إسباغ الحياة الإنسانية على ما لا حياة له كالأشياء الجامدة والكائنات المادّية غير الحية"[1] فالشّمعة عنده ترمز إلى الوجود بنورها، وإلى التّضحية بذوبانها واحتراقها من أجل حياة مشعّة للآخرين[2]:

لا نوح يا شمـــوعْ في مولد الهـــادِي

لا تَسْكُبِي الدّموعْ في خَيْـرِ ميـــــلادِ

لا تحْرقِي الضُّلـوعْ في عيـدِ أعيـــــادِ

بل نَوِّري الرُّبـــوعْ من أجْلِ إسْعـادِي

ويواصل خطابه متوسّلا الشّمعة أن تكُفَّ عن البكاء، فالمقام مقام شدو وغناء وإنشاد وهي صفات الطّفولة المنطلقة، التي لاتزال تجهل عمق الجراح التي تتبدّى آلامها أمام الإنشاد، في مقطّعة من ذات القصيدة[3]:

---

[1] الشّهال رضوان: الشّعر والفن والجمال (د، ط) دار الأحد، بيروت، 1961، ص:45.

[2] مال الطّاهري: الزّهور، ج2، ص:13.

[3] جمال الطّاهري: الزّهور، ج3، ص:13.

يا شمع كُفَّ النّـوحْ قد غَرَّدَ الشّادِي

غنّت طيور الـدّوحْ للرّائحِ الغَـــادِي

والبشرُ صاغَ البـوْحْ ذا زهرهُ البَـــادِي

يَأْسُو عميقَ الجُـرْحْ من حُلْوأنشَـادِ

4- مضامين القرآن الكريم:

وإذا كان الشّاعر قد استلهم من القرآن الكريم أفكاره في صياغة شعره للأطفال متعاملا معه كمنبع لثقافته الإسلامية؛ فإنّه لم ينساه وهو الإعجاز الإلهي ومنهج الحياة الرّبّاني الكامل الذي أنزله اللّه سبحانه وتعالى على نبيّه محمد – صلى الله عليه وسلم– ليكون دستورا وشريعة وتاج الأدب وقاموس اللّغة العربية أسلوبا وعرضا، ومظهر البلاغة، والطّاقة الخلّاقة من الفكر والذّكر، الذي قال فيه ألدّ أعدائه، وهو كافر به: "واللّه إنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة وإنّه ليحطم ما تحته، وإنّه يعلو وما يُعلى"[1] لذلك كلّه أفرد الشاعر قصيدة للقرآن الكريم، ووسمها باسمه (القرآن) وتفنّن فيها بالصّبغة التوشيحية للوصول السّهل إلى شفاه الأطفال[2]:

قرآن ربّـــي دُنيا وديـــنْ هدًى ونورٌ للـــعالميـــــنْ

---

[1] سيد قطب: التّصوير الفنّي في القرآن، ط17، دار الشّروق، القاهرة، 2004، ص:25.

[2] جمال الطّاهري: نفح الياسمين، ط2، مجموعة أناشيد للأطفال، مؤسسة الطباعة، المدية، 1997، ص:14.

أتَى انْبعـاثًا للمسلمينْ أنار أفكارَ الجــاهلِيـــنْ

فما أجلَّ: قرآنَ ربّي

أتى بشيــرًا للمؤمنيــنْ أتى نذيرًا للكـــافريـــنْ

أزَالَ زِيــفَ المضلِّيـــنْ أَنـــارَ دربًا للتّائــهيـــنْ

فما أجلَّ: قرآنَ ربّي

أتَى فصحَّى كلّ النيامْ دعا الشّعـوب إلى القيامْ

وأَيقظَ العُربَ من منامْ وكان بعــثًا علــى الدّوامْ

نلاحظ أنّ الحس القرآني يسيطر على خيال جمال الطّاهري فهو يستوحي المعنى من قوله تعالى: ﴿**كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ**﴾[1] وقوله عزّ وجلّ: ﴿**أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا**﴾[2].

ومن الصّور التي تدلّ على الحقيقة الرّوحية للقرآن الكريم الذي أنزله الله ضياء يهدي به من يشاء أنّه نظام أتى لإزالة الفوارق بين النّاس، ومحاربة الجهل، ووضع ميزان التّقوى، يقول **الطّاهري** على لسان طفل ترعرع في أحضان التربية الإسلامية[3]:

---

[1] سورة فصلت: الآيتان:03-04.

[2] سورة الإسراء: الآية:78.

[3] جمال الطّاهري: نفح الياسمين، ص:14.

قرآن ربّي أتـــى رسالـــهْ أتى نظـامًا أتـــى عدالـــهْ

وكان سيفًا على الجهالهْ ما اسْطاع نهجًا يحذو مثالـهْ

ويسلك **الطّاهري** "سبيل الاستجابة للصّوت الدّيني الكامن في أعماقه ليظهر هذا التأثير المتعدّد في كثير من شعره، ليرسم صورا مستوحاة من القرآن الكريم، ومعانيه"[1] على نحو[2]:

اسمعْ لِوَحْيِ الإله واصْدعْ وافهمْ معاني الكتاب تَخْشـعْ

ارجع لأمرِ القديرِ ارجِـعْ تجدْ نظامًا للخلْـــقِ يَرفَـــعْ

فقد استوحى معاني صورته الفنّية من قوله تعالى: ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**﴾[3].

وخاتمة الموضوعات الدّينية التي كلّها خير وبركة على الأطفال، إذا ما أحسنوا التّلقّي أنشودة جميلة تتدرّج في معانيها، فصيحة الحروف، قريبة من تداولات الأطفال خارج المناشط الدّراسية قبل ولوجها، يقبل عليها الأطفال؛ لما فيها من موسيقى عذبة مستساغة، تعمل على التّسامي بالنّفس، والرّقي بالوجدان، والذّوبان في ملكوت الله (يا واسع الخيرات) بأفواه الأطفال[4]:

---

[1] سعاد عبد الوهاب عبدالكريم: إسلاميات أحمد شوقي (دراسة نقدية) ص:239.

[2] جمال الطّاهري: نفح الياسمين، ص:14.

[3] سورة الحجر: الآية:94.

[4] جمال الطّاهري: الزّهور، ج5، ص:02.

يَا رَافِـعَ النَّجَمَـــاتْ وَسِّـعْ لَنَا الْخَيْرَاتْ

واكتُبْ لَنَا البرَكَـاتْ دَوْمًا مَـدَى الـعُمرِ

يَا جَـالــبًا للـــــرِّزْقِ يَا رَبَّ كُلِّ الْخَلْــقِ

نَوِّرْ طَرِيقَ الحَـــــقِّ مَهِّـــدْهُ لِلْخَيْـــرِ

يَا رَبَّ كُلِّ الْإِنْـــسِ جَمِّلْ لَدَيْنَا النَّفْـسْ

وَاذْهَبْ بِكُلِّ الْيَـأْسِ إِنْ حَـامَ بِالصَّـدْرِ

5- خصائص وغايات شعر الأطفال عند جمال الطاهري:

ومن خلال ما سبق تقديمه يمكن أن نحدّد خصائص الشعر الدّيني للأطفال عند شاعرنا في الآتي:

- لغته كانت لغة قرآنية فصيحة وسليمة دون دخيل عامّي أوغيره.
- تضمّن أخلاقا وفضائل حثّ عليها الإسلام.
- لم يتضمّن أي صورة من صور الخرافات والخوارق.
- دعا إلى التفكير في ملكوت الله، وفي المخلوقات، وتأمّل الكون، وكيفية خلقه.

وهذا يحيلنا إلى استنتاج غاياته من خلال الآتي:

- التّعرّف المباشر على وحدانية الله، وبعض صفاته وأسمائه الحسنى.

– التّعرّف على سيرة حبيبنا محمد–صلى الله عليه وسلم–وصفاته من خلال الاحتفال بمولده. وتنمية العقيدة على أسس سليمة فهما، وممارسة، وسلوكا.

6- المآخذ:

ونضيف في الأخير بعض المآخذ على الموضوع الدّيني في شعر الأطفال عند جمال الطّاهري في الآتي:

– تميّزت القصائد بالطّول، وهو أمر يشتّت انتباه الأطفال ويبعث فيهم الملل.

– لم يتضمّن الموضوع الدّيني مضمون العبادات، وهو أمر مهمّ جدا للأطفال بمختلف مراحلهم، وبخاصّة عبادة الصّلاة الذي يرافق تعليمها للطّفل منذ منتصف مرحلة الطّفولة الثانية، حيث لم يذكرها إلّا بعبارة واحدة عبر الدّيوانين (تقبّلْ صلاتي) وكذا عبادة الصّوم في شهر رمضان وهي مناسبة لها نكهة خاصّة عند الأطفال.

– خلوّ شعره من كلّ المناسبات الدّينية ماعدا مناسبة عيد المولد، والمناسبات الدّينية هي مظهر الجمال والفرحة عند الأطفال بترديدهم الأشعار المناسبة لها حفظا وأداء.

– المعجم المستعمل فيه من الألفاظ الصّعبة، وبعض الرّمزية الموغلة في التّخيّل ما يتجاوز بعض الفئات العمرية للأطفال.

7- النتائج والتوصيات:

1- جمال الطاهري شاعر أطفال وأعماله تستحق النبش والدراسة؛ لأنّه أدرك أهمّية الجوانب المرتبطة بحياة الطّفل، فغذّاها بالتّقويم التّربوي، ونوّع في مضامينها، وواءم بينها وبين مراحل الطّفولة وعايش من خلال أعماله الشعرية الطفلية معظم النّواحي الضّرورية لحياة الطّفل واهتماماته، فتناول الجوانب الدينية للطّفل، وجسّد علاقته بربّه، ووافق قيمه الشّعرية مع العقيدة الإسلامية للطّفل، وحرص على التّنويع في مصادر الصورة الشعرية، معتمدا على الإيقاع الحركي الغنائي، مراعيا مراحل التطور اللّغوي للطفل، وهو بذلك قد حقّق كثيرا من شروط الكتابة للأطفال.

2- نأمل أن تجد هذه الأعمال؛ وغيرها طريقها إلى مناهج التّربية الوطنية كأناشيد ومحفوظات ضمن مناهج اللّغة العربية، ومناهج التربية الموسيقية، ونعلّق كلّ الآمال على الباحثين لدراسة شعر الأطفال في الجزائر.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

1- جمال الطّاهري: الزّهور، ط1، ج1، قصائد للفتيان والفتيات، دار الحضارة، المدية .1991

2- جمال الطّاهري: الزّهور، ط1، ج2، قصائد للفتيان والفتيات، دار الحضارة، المدية .1991

3- جمال الطّاهري: الزّهور، ط1، ج3، قصائد للفتيان والفتيات، دار الحضارة، المدية .1992

4- جمال الطّاهري: الزّهور، ط1، ج4، قصائد للفتيان والفتيات، دار الحضارة، المدية .1992

5- جمال الطّاهري: الزّهور، ط1، ج5، قصائد للأطفال، مؤسسة أشغال الطباعة، المدية .1993

6- جمال الطّاهري: نفح الياسمين، ط2، مجموعة أناشيد للأطفال، مؤسسة أشغال الطباعة المدية، .1997

7- حسن شحاتة: أدب الطّفل العربي دراسات وبحوث، ط2، الدّار المصرية اللّبنانية، القاهرة، 1994.

8- سعاد عبد الوهاب عبدالكريم: إسلاميات أحمد شوقي (دراسة نقدية) (د، ط) مطابع أهرام الجيزة الكبرى، مصر (د، ت).

9- سيد قطب: التّصوير الفنّي في القرآن، ط17، دار الشّروق، القاهرة، 2004.

10- الشّهال رضوان: الشّعر والفن والجمال (د، ط) دار الأحد، بيروت، 1961.

11- عبدالرحمن بغداد: إسلاميات أحمد شوقي (دراسة نصّية تناصية) (رسالة دكتوراه مخطوطة) جامعة، تلمسان، 2007.

12- عبدالله الركيبي: دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث (د، ط) الدار القومية، مصر 1961.

13- عميش عبدالقادر: قصّة الطّفل في الجزائر، ط2، دار الأمل، تيزي وزو، 2012.

14- العيد جلّولي: النّص الشعري الموجّه للأطفال في الجزائر، ط1، موفيم للنشر، الجزائر 2008.

15- مروان كوجك: أناشيد إسلامية، ط3، دار الأرقم، الكويت، 1987.

16- منقذ بن محمود السّقار: الدّين المعاملة (د، ط) الإدارة العامّة للثقافة والنّشر (د، ب) 2009.

17- هيغل: المدخل إلى علم الجمال فكرة الجمال، ط2، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطّليعة بيروت، 1988.